العرب
الثلاثاء 2021/10/12
السنة 44 العدد 12207

إسرائيل تعيق المشروع الإصلاحي في العراق.. لمَ لا تصدق؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ليس علينا أن نأخذ كل كلام على محمل الجد. غالبا ما تأخذ المزحة البريئة هيأة جادة لا تضر. ولكن ما يقوله السياسيون لا يقبل شيئا من المزاح، فالسياسي حين يقول كلاما غير مسؤول هو أشبه بالنكتة السمجة فهو (أي السياسي) إما أن يكون كاذبا أو أن يكون جاهلا، ضعيف القدرة العقلية وغير مؤهل للعمل السياسي.

ذلك المجال يبدو أكثر سطحية وأشد مدعاة للسخرية إذا ما لجأ السياسي العربي إلى استعمال إسرائيل في تفسير العطب الذي أصاب الحياة العربية وجعلها غير قابلة للتغيير أو على الأقل للإصلاح. تلك كذبة صارت مملة ولا تدعو إلى الضحك بقدر ما يشعر مَن يستمع إليها بأن هناك من يضحك عليه ويعتبره إنسانا فقير المعرفة والتجربة والخيال.

الشعب الذي يرضى لنفسه أن يكون مضحوكا عليه هو الذي يساهم في انتشار حالة العمى السياسي التي تقف وراء الجمل الجاهزة التي يغطي من خلالها السياسيون العرب على فسادهم وجهلهم

مناسبة هذه المقدمة ما صرح به رجل الدين المرهوب الجانب شعبيا وحكوميا في العراق مقتدى الصدر من أن إسرائيل هي الجهة التي تقف وراء إعاقة مشروع الإصلاح في بلده. طبعا هناك في العراق مَن يصدق ذلك الكلام على عواهنه. مثلما يصدق بعض السوريين أن إسرائيل هي التي تمنع نظام بشار الأسد من التحول إلى الديمقراطية ومثلما يصدق بعض الفلسطينيين أن إسرائيل هي التي تقف وراء فساد السلطة الفلسطينية وهي التي تشجع حماس على شن حروبها بين حين وآخر.

الأمثلة على ذلك لا تُحصى.

وهي أمثلة تكشف للأسف عن المدى السيء الذي وصلت إليه العلاقة بين السياسي ووظيفته، وهو ما يلقي الضوء على نوع مفضوح من فقدان المصداقية وهو أمر لم يعد السياسي العربي ليلتفت إليه بعد أن صارت حصانته أكبر من أية مساءلة قانونية. فالصدر على سبيل المثال هو رجل فوق الشبهات بالرغم من أنه يدير واحدة من أكبر مكائن الفساد في العراق، كما أنه زعيم ديني ورث العصمة من أبيه بالرغم من أنه لا يمكن أن ينطق بجملة عربية واحدة من غير أن يوجه الإهانة إلى مستمعيه أو يستخف بهم. كما أن كل أحاديثه تكشف عن محدودية تفكيره وتواضع مؤهله العقلي ناهيك عن ضآلة معارفه السياسية.

كل ذلك لا ينطوي على نوع من المبالغة. غير أنك ما إن توجه نقدا للرجل الذي يعتبر مسؤولا بشكل مباشر عن انهيار قطاعي الكهرباء والصحة حتى تُجابَه بواحد من ردين. الأول يتهمك بمعاداة المذهب وهي تهمة جاهزة يختبئ وراءها الكثير من اللصوص والقتلة والأفاقين والمحتالين، والثاني يدعوك إلى أن تكون منصفا فتذكر جميع النصابين في العراق ولا تكتفي بالصدر وحده.

ومثلما قلت "هناك مَن يرتاح إذا ما أخبرته أن إسرائيل هي السبب". وهنا علينا أن نتذكر خرافة السفيرة الأميركية في بغداد التي شجعت صدام حسين على غزو الكويت. لقد صدق الكثيرون تلك الخرافة بالرغم من أن نائب رئيس الوزراء المقرب من الرئيس العراقي الراحل طارق عزيز قد أنكر علمه بتلك الواقعة. ذلك الإنكار لا يعني شيئا بالنسبة إلى مَن يرتاح إلى تبرئة صدام حسين من التسبب في الكارثة التي دمرت العراق، دولة وشعبا. وهو ما يعني أن الشعب الذي يرضى لنفسه أن يكون مضحوكا عليه هو الذي يساهم في انتشار حالة العمى السياسي التي تقف وراء الجمل الجاهزة التي يغطي من خلالها السياسيون العرب على فسادهم وجهلهم وتفاهة سلوكهم وفقر تجربتهم السياسية ولكنهم، وهذا هو الأهم، لا يكترثون إن افتضحت أكاذيبهم وبان سقم حيلتهم، فما من أحد قادر على مساءلتهم.

"إسرائيل هي السبب" ذلك كلام منطقي. لا أحد يسأل "كيف؟". ما من جهة تقوى على استدعاء السيد، لا من أجل محاكمته بسبب ما ينطوي عليه كلامه من تضليل وإخفاء للحقيقة بل من أجل الاستفادة من موهبته في اكتشاف الخيوط الخفية التي تجعل إسرائيل قادرة على تعطيل كل محاولات الإصلاح في العراق.

وإذا ما تجاوزنا سؤال الكيفية يبقى سؤال الماهية قائما "ما هي المحاولات التي بذلها السيد وتياره من أجل الإصلاح وقامت إسرائيل بإفشالها؟"، ثم ما هو الإصلاح من وجهة نظر السيد وأتباعه؟ وما هو الشيء الذي يجب إصلاحه لكي ينعم العراقيون بحياة رخية ومرفهة أو على الأقل سوية؟ كل هذه الأسئلة وسواها لا يجيب عليها الصدر مثلما لا يجيب السيد حسن نصرالله على سؤال من نوع "مَن تقاوم ولماذا يتحكم السلاح باسم المقاومة بمصير لبنان وحياة شعبه؟". سيقول "إسرائيل".

لا بأس سنهز رؤوسنا موافقين باعتبارنا البلهاء المضحوك عليهم فيما البنادق موجهة إلى رؤوسهم.

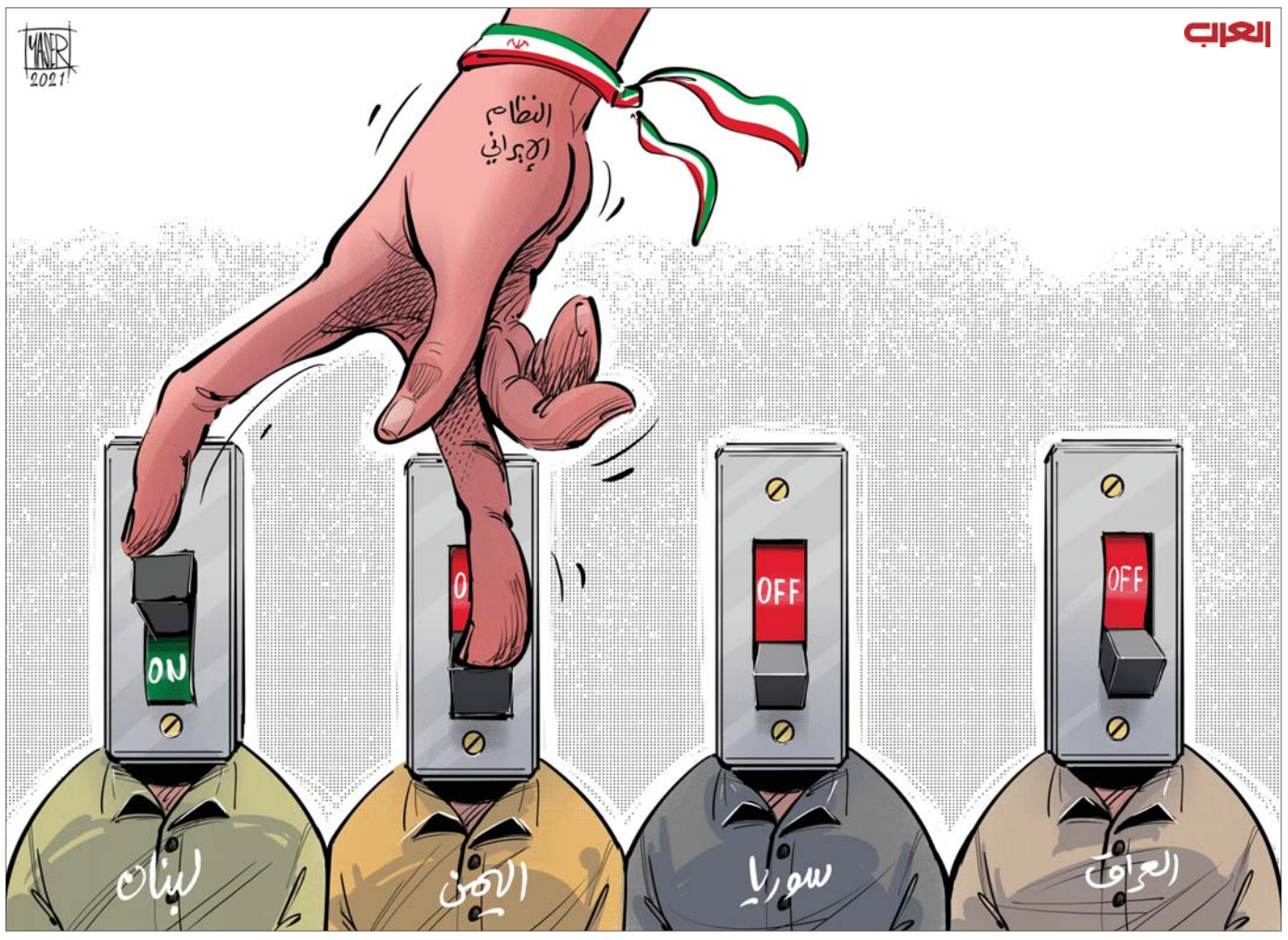

فكرة الحاجة إلى الكهرباء

علي الصراف
كاتب عراقي

مثل أفكار كثيرة تستحق إعادة النظر فيها، فإن فكرة الحاجة إلى الكهرباء لا بد وأن تكون موضوعا قابلا للنقاش على الأقل.

كل البلدان التي خضعت لسلطة الولي الفقيه تعاني من نقص شديد في الكهرباء. وما من مصادفة في ذلك. فكلما زاد الإيمان به كظل لله على الأرض، كلما نقصت الكهرباء أكثر. وفي هذا ما يكفي دليلا على أن الحاجة إلى الكهرباء ليست ماسة بالمقدار الذي يعتقده أكثر الناس.

في لبنان بلغت مستويات الإيمان بالولي الفقيه حدا يقترب كثيرا من منافسة منزلة الأنبياء، فوصل استخدام الكهرباء إلى مستويات بلغت حد الصفر. الأمر في غزة أقل من ذلك. وأقل منه في اليمن وسوريا والعراق. ولكن، في كل هذه البلدان توجد ميليشيات تؤمن بالولي الفقيه، وهي كلها تعاني من نقص شديد في الكهرباء، إلا أن المؤمنين درجات، ولبنان يجلس في أعلى السُلّم.

ولا تحسبنني أذكر هذه الأمثلة للنكاية بما تفاخر به حيدر مصلحي وزير الاستخبارات الإيراني السابق في حكومة محمود أحمدي نجاد عندما قال إن "إيران تسيطر فعلاً على أربع عواصم عربية".

لأني في الواقع لا أحاول إثبات العلاقة بين نفوذ إيران وبين نقص الكهرباء، ولكني أريد أن أثبت أن فكرة الحاجة إلى الكهرباء هي نفسها تستحق إعادة النظر.

فالإنسان ينام نحو 8 ساعات ليلا. وهو بذلك ليس بحاجة إلى الكهرباء من الأساس. وعندما تصحو، فإن عدد ساعات النهار يتفاوت بحسب قرب بلادك أو ابتعادها عن إيران، ولكن المعدل يمكن أن يصل إلى نحو 12 ساعة يوميا، أي أنك لست بحاجة إلى الكهرباء لكي تستدل على طريق الهدى الذي يشع من قم. وهذا ما يجمع 20 ساعة. فإذا ما توفرت لك الكهرباء لمدة الساعات الأربع الباقية لكي تشحن بطارية التلفون وتشاهد قناة المنار وتقضي بقية حاجاتك الإلكترونية، فهذه نعمة كافية.

أربع ساعات من الكهرباء تعني أربع ساعات عمل بدلا من ثماني. وهذه نعمة أخرى تستطيع أن تحطم كل حسابات النظام الرأسمالي الذي يجبر العمال على قضاء 8 ساعات وراء المكائن.

والمصباح الكهربائي اختراع رأسمالي أوجده رجل كافر يدعى توماس أديسون. وبسببه تطورت الرأسمالية إلى إمبريالية، ومنها نشأ الاستكبار العالمي الذي تحاربه إيران. وأحد أهم وسائل الحرب هي قطع الكهرباء لكي تنقطع الأواصر بينك وبين ذلك النظام.

العودة إلى الشموع بضوئها الرومانسي الشاحب يمكن أن توفر كل الأسباب لتغذية الرغبة في تأليف القصائد، والعودة إلى الكتابة بالقلم بدلا من الاستعانة بما يدعى الـ"كيبورد"، و"إنتاج" المزيد من الأطفال الذين سوف يتشردون في ما بعد.

وفي الواقع، فقد كان وجود الكهرباء سببا لعادات بذيئة من قبيل السهر وقضاء الوقت خارج المنزل، بينما يمكن للمرء أن يقضي الوقت مع أطفاله لكي يساعدهم في حل واجباتهم المدرسية على ضوء الفوانيس.

ولو أنك تأملت في الفوائد التي تجنيها من الظلام، فلسوف تجد أنها لا تعد ولا تحصى. فهو يساعد على التأمل والتركيز. ولولا هذه الفائدة ما كانت إيران لتحقق كل ما حققته من إنجازات في البطالة والتضخم والفقر وتفشي الأمراض. فهذه كلها إنما كانت من نتاج التأملات وأعمال التركيز التي يستطيع الفقهاء أن يستنسخوا منها ما توصل إليه الولي الفقيه علي خامنئي. فيحققوا لمجتمعاتهم ما تمكن هو من تحقيقه.

وانقطاع الكهرباء واحد من أهم الوسائل الدفاعية. وهي مما يسميه العسكريون "التمويه". فالأقمار الصناعية التي تراقب كل شيء من الفضاء الخارجي، لا تعود قادرة على رؤية كل ما يجري في الظلام. وهو ما يُمكّن "سيد المقاومة" حسن نصرالله من أن يخرج من القبو ليتنفس شيئا من هواء الله الطلق.

ويميل بعض الناس إلى "النق" بشأن الكهرباء، وكأنهم أفلحوا بوجودها ما لم يفلحوا به في غيابها. بينما الأمر كله سيّان.

انقطاع الكهرباء واحد من أهم الوسائل الدفاعية وهي ما يسميه العسكريون «التمويه»، وهو ما يُمكّن «سيد المقاومة» حسن نصرالله من أن يخرج من القبو ليتنفس شيئا من هواء الله الطلق

والمسألة ليست بالضرورة مسألة نقص في الموارد أو الإمكانيات. فالعراق لديه الكثير من الموارد، وهو بلا كهرباء تقريبا. فالموارد إنما تذهب إلى مشاريع إنتاج الكهرباء التي تنفذها شركات تابعة للحرس الثوري. ولأسباب "ولائية" تختفي الموارد وتختفي معها الكهرباء، وذلك لكي يمكن توقيع عقود جديدة. والبلد على هذا الحال منذ أكثر من 18 عاما، وهو سعيد إلى درجة أنه أعاد انتخاب جماعات توقيع العقود مع إيران.

ولقد ثبت أن وجود الكهرباء هو سبب إفلاس لبنان. فتكاليفها تبلغ 800 مليون دولار كل شهرين تقريبا، وبسبب هذه التكاليف لم يعد لدى مصرف لبنان أكثر من 14 مليار دولار. ولو أن اللبنانيين تنبهوا إلى هذه المعادلة، وسمعوا كلام حزب الله منذ البداية، لقطعوا بأنفسهم كل خطوط الكهرباء، وتمتعت بلادهم بالوفرة والتوفير. وفي ذلك ما يغنيهم عن فساد القائمين على قصة الكهرباء من بعض أولياء الأمور في جماعة "لبنان القوي". ولبنان قوي الآن، أكثر بكثير مما كان، ليس بفعل نقص الكهرباء، بل بسبب ظهور الأدلة القاطعة على عدم الحاجة إليها.

وجود الكهرباء ضار أمنيا أيضا، لأنه يشجع المعارضين على عقد اجتماعاتهم ليلا، بما لا يسمح لعسس الثورة أن يراهم.

وفي الواقع، فإن تجربة نقص الكهرباء تستحق أن تدرس ليس في الأكاديميات العسكرية فحسب، بل وفي كل جامعات العالم لفهم أسباب الصلة الوثيقة بين الثورة الإسلامية والظلام.

وبحسب مصلحي فإن "الثورة الإيرانية لا تعرف الحدود وهي لكل المستضعفين في الأرض". وهذا يعني أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ليست بحاجة إلى الكهرباء. ولو أنهم أصبحوا ثوريين، ومدوا جسور العلاقات مع الولي الفقيه، فإنهم سوف ينعمون بظلام يكفيهم لعدة قرون.